المحاضرة السادسة : الانثروبولوجيا الحذيثة ومواضيعها

عنوان المحاضرة: الأنثروبولوجيا الحديثة: الاتجاهات الجديدة في دراسة الإنسان والثقافة

الهدف العام

فهم التحولات النظرية والميدانية التي شهدتها الأنثروبولوجيا في القرن الحادي والعشرين، واستيعاب علاقتها بالتغيرات الرقمية، البيئية، والاجتماعية، مع تحليل كيفية إعادة تشكيل الإنسان لهويته وثقافته في ظل هذه التحولات.

المحور الأول: تطور الأنثروبولوجيا من الكلاسيكية إلى الحديثة

الأنثروبولوجيا الكلاسيكية ركزت على دراسة المجتمعات التقليدية والبدائية من خلال الملاحظة الميدانية الطويلة وتحليل البنى الاجتماعية والثقافية. كانت تهتم بالقرابة، الطقوس، والدين بوصفها عناصر أساسية لفهم الإنسان. أما الأنثروبولوجيا الحديثة فانتقلت إلى دراسة الإنسان المعاصر في سياق عالمي متحوّل، حيث تداخلت الثقافات وتغيرت أنماط العيش بفعل العولمة والتكنولوجيا. اليوم، لم يعد الباحث الأنثروبولوجي يكتفي بدراسة مجتمع محلي صغير، بل يتتبع العلاقات والعمليات العابرة للحدود فيما يُعرف بـ"الأنثروبولوجيا متعددة المواقع". يرى **محمد الجوهري (2015)**ن الأنثروبولوجيا الحديثة تدرس "الإنسان في التحول"، أي الإنسان الذي يعيش تغيراً ثقافياً مستمراً في ظل التقدم التقني والاجتماعي. وتشمل الدراسات الحديثة موضوعات مثل الهجرة، العمل، التحول الحضري، والهوية في المجتمعات العربية والغربية على حد سواء.

المحور الثاني: الأنثروبولوجيا الرقمية

الأنثروبولوجيا الرقمية هي أحد أبرز فروع الأنثروبولوجيا الحديثة، وتركز على دراسة حياة الإنسان داخل الفضاء الرقمي. تدرس كيف تؤثر التكنولوجيا على القيم والعلاقات الاجتماعية، وكيف يعيد الأفراد بناء هوياتهم عبر الإنترنت. تناول **Miller (2021)** في دراسته *The Global Social Media Impact Study* التغيرات التي أحدثتها وسائل التواصل الاجتماعي في مفاهيم الخصوصية والانتماء داخل مجتمعات مختلفة حول العالم. ويمتد هذا الاهتمام إلى الذكاء الاصطناعي، حيث يرى **Boellstorff (2021)** أن العلاقة بين الإنسان والآلة أصبحت علاقة ثقافية بقدر ما هي تقنية، إذ يعاد تعريف العمل والمعرفة في ظل الاعتماد المتزايد على الأنظمة الذكية. هذه الدراسات تطرح أسئلة جديدة مثل: هل يمكن اعتبار المجتمعات الرقمية مجتمعات حقيقية؟ وكيف يمكن فهم "الهوية الرقمية" بوصفها امتداداً للذات الإنسانية؟

المحور الثالث: الأنثروبولوجيا البيئية وتغير المناخ

تتعامل الأنثروبولوجيا البيئية مع العلاقة بين الإنسان والبيئة بوصفها علاقة تبادلية مستمرة. فهي تدرس كيف تؤثر البيئة على السلوك والثقافة، وكيف يستجيب الإنسان للتغيرات البيئية الكبرى مثل الجفاف، التصحر، أو الكوارث الطبيعية. يوضح **Crate** و **Nuttall (2016)** في كتابهما *Anthropology and Climate Change* أن التغير المناخي ليس مجرد قضية علمية، بل قضية ثقافية واجتماعية تمس أنماط العيش والمعتقدات والاقتصاد المحلي. في العالم العربي،

تُظهر دراسات حول واحات شمال إفريقيا أن المجتمعات الريفية طورت استراتيجيات جديدة للتكيف مع التغير المناخي، مثل الهجرة الموسمية أو تغيير أنماط الزراعة. هذا الفرع يبرز أهمية النظر إلى البيئة كعنصر فاعل في تشكيل الثقافة وليس مجرد خلفية محايدة.

المحور الرابع: الأنثروبولوجيا الطبية

الأنثروبولوجيا الطبية تبحث في كيفية تفسير الثقافات المختلفة لمفاهيم الصحة والمرض والعلاج. فهي لا تدرس المرض من منظور بيولوجي فقط، بل من زاوية اجتماعية وثقافية. يرى **Singer (2020)** في كتابه *A Companion to Medical Anthropology* أن الفقر والمرض يرتبطان ببنية المجتمع الاقتصادية والسياسية، وأن الصحة لا يمكن فصلها عن الظروف المعيشية والثقافية. تهتم الأنثروبولوجيا الطبية كذلك بتأثير العولمة على الممارسات الطبية، وبالاحتكاك بين الطب الحديث والمعارف الطبية التقليدية. على سبيل المثال، في كثير من المجتمعات العربية والإفريقية ما زال الطب الشعبي قائماً إلى جانب الطب الغربي، مما يثير تساؤلات حول إمكانية الدمج بين المنظومتين بما يخدم المريض دون تهميش المعرفة المحلية.

المحور الخامس: الأنثروبولوجيا السياسية والاقتصادية

يُعنى هذا الاتجاه بتحليل علاقات السلطة، العولمة، والعمل، وتوزيع الموارد. الأنثروبولوجيا السياسية تدرس كيف تُمارس السلطة داخل المجتمعات وكيف تؤثر في الحياة اليومية، بينما تركز الأنثروبولوجيا الاقتصادية على فهم الاقتصاد بوصفه نظاماً ثقافياً، لا مجرد تبادل مادي. في كتابه *Ethnography and the Global Economy*، يناقش **Gusterson (2019)** فكرة "العمل غير المرئي" الذي يشكل أساس الاقتصاد العالمي، رغم أنه غالباً ما يُهمل في التحليلات الاقتصادية الرسمية. ويرى **عيسى الشماس (2019)** أن فهم الاقتصاد الحديث يتطلب تحليل الثقافة التي تحركه، فالمعاملات الاقتصادية تعبّر عن قيم ورموز اجتماعية تتجاوز الأرقام. هذا الفرع من الأنثروبولوجيا يقدم أدوات لفهم الفقر، الهجرة، والتفاوت الاجتماعي في ظل الرأسمالية المعولمة.

المحور السادس: الجندر والهوية في الأنثروبولوجيا الحديثة

الأنثروبولوجيا الحديثة أعادت النظر في مفاهيم الذكورة والأنوثة، معتبرة الجندر بناءً اجتماعياً وثقافياً يتغير بتغير الزمن والمكان. تتناول الدراسات الجندرية اليوم قضايا المساواة، الحركات النسوية، والتحولات في أدوار الجنسين داخل الأسرة والعمل والسياسة. في كتابها *Gender and Anthropology Today*، توضح **Moore (2022)** أن فهم الجندر يتطلب دراسة كيفية تشكله ضمن بنى اجتماعية وسياسية محددة، وليس بوصفه سمة بيولوجية فقط. وقد ساعدت الأنثروبولوجيا في الكشف عن تنوع الأدوار الجندرية في الثقافات المختلفة، مما يفتح المجال أمام مقاربات أكثر شمولاً لفهم الهوية والتمثيل الاجتماعي.

المحور السابع: الأنثروبولوجيا الحضرية

تهتم الأنثروبولوجيا الحضرية بدراسة المدن كمجتمعات حية تتغير باستمرار. فهي تبحث في آثار التمدن السريع، الهجرة، واللامساواة الاجتماعية على الحياة اليومية. تشير **Low (2018)** في كتابها *Theorizing the City* إلى أن المدينة ليست مجرد بنية عمرانية، بل فضاء ثقافي يشكّل العلاقات الاجتماعية والرموز الجماعية. في المدن العربية مثلاً، أدت العولمة إلى تغييرات في أنماط السكن والاستهلاك والتفاعل الاجتماعي. يدرس الباحثون كيف تُعيد الفئات الاجتماعية المختلفة إنتاج فضاء المدينة بما يعكس قيمها وطموحاتها، مثل إعادة تشكيل الأحياء القديمة أو نشوء الضواحي الحديثة.

المحور الثامن: الهوية الثقافية والعولمة

تبحث الأنثروبولوجيا الحديثة في كيفية إعادة تشكيل الهوية في ظل العولمة والتواصل الرقمي. يرى **Appadurai (2020)** في كتابه *Modernity at Large* أن الهوية أصبحت "متحركة"، تتشكل عبر تدفقات المعلومات والهجرة والاقتصاد العالمي. لم تعد الهوية ثابتة أو محلية فقط، بل أصبحت نتاجاً للتفاعل بين المحلي والعالمي. يواجه الإنسان المعاصر تحديات في الحفاظ على خصوصيته الثقافية أمام الضغوط الاقتصادية والإعلامية، مما يولد أشكالاً جديدة من "الانتماء العابر للحدود". هذا الاتجاه يسعى إلى فهم كيف يعيش الأفراد في مجتمعات متداخلة ثقافياً وكيف يعيدون بناء ذواتهم ضمن بيئات هجينة ومتعددة التأثيرات.

الخاتمة

الأنثروبولوجيا الحديثة لم تعد علماً يدرس "الآخر البعيد"، بل أصبحت علماً يدرس الإنسان أينما كان، في القرية أو المدينة أو الفضاء الرقمي. تهدف إلى فهم الإنسان في سياق التحول العالمي المستمر، وتحليل علاقاته مع التكنولوجيا والبيئة والسياسة. هذا التطور جعل الأنثروبولوجيا أداة مهمة لفهم المجتمع المعاصر وصياغة رؤى إنسانية تسعى إلى العدالة والمعرفة المشتركة.

مراجع مقترحة للطلبة

- الجوهري، محمد. (2015). *الأنثروبولوجيا المعاصرة*. دار المعرفة، القاهرة.
- الشماس، عيسى. (2019). *الإنسان في زمن التكنولوجيا*. المركز الثقافي العربي، بيروت.
- Miller, D. (2021). *The Global Social Media Impact Study.* UCL Press.
- Crate, S., & Nuttall, M. (2016). *Anthropology and Climate Change.* Routledge.
- Singer, M. (2020). *A Companion to Medical Anthropology.* Wiley-Blackwell.
- Gusterson, H. (2019). *Ethnography and the Global Economy.* Stanford University Press.
- Moore, H. (2022). *Gender and Anthropology Today.* Polity Press.
- Low, S. M. (2018). *Theorizing the City.* Rutgers University Press.
- Boellstorff, T. (2021). *Artificial Intelligence and the Human Future.* MIT Press.

- Appadurai, A. (2020). *Modernity at Large.* University of Minnesota Press.

أمثلة

المحور الأول: تطور الأنثروبولوجيا من الكلاسيكية إلى الحديثة

في الجزائر، يمكن توضيح هذا التحول من خلال المقارنة بين دراسات الاستعمار الفرنسي التي ركزت على "القبائل والأعراف المحلية" وبين الأبحاث الحديثة التي تدرس الإنسان الجزائري في بيئة حضرية رقمية متغيرة. على سبيل المثال، كانت دراسات القرن العشرين تهتم بـ"نظام العرش"، والروابط القبلية، والطقوس الزراعية، بينما تهتم الأبحاث المعاصرة اليوم بالتحولات الاجتماعية في المدن الكبرى مثل الجزائر العاصمة، وهران، وقسنطينة، ودور الشباب في تشكيل ثقافة جديدة عبر الإنترنت.

أمثلة و اقعية:

- دراسات عن التغير في بنية الأسرة الجزائرية نتيجة السكن الحضري.
- أبحاث حول تراجع دور التضامن العائلي التقليدي أمام الفردية الحديثة.
- **المحور الثاني: الأنثروبولوجيا الرقمية**

الجزائر شهدت طفرة رقمية خلال العقد الأخير، حيث أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي فضاءً للتعبير والممارسة الثقافية. الأنثروبولوجيا الرقمية تساعد على فهم كيف يستخدم الشباب الجزائري المنصات الرقمية مثل **فيسبوك**، **تيك توك**، **ويوتيوب** لإعادة تعريف الهوية والتفاعل الاجتماعي.

أمثلة و اقعية:

- حملات إلكترونية مثل #**خليه_يتربى** (لمقاطعة بعض السلع) تُظهر كيف تتحول الشبكات الاجتماعية إلى أدوات ضغط اجتماعي.
- مجموعات الطبخ والمواهب على فيسبوك التي تعكس التعاون الافتراضي وإعادة إنتاج الثقافة المحلية.
- ظاهرة "اليوتيوبرز الجزائريين" الذين يقدمون محتوى عن العادات اليومية، مثل قناة *Dzjoker* أو *Amira Riaa*.

المحور الثالث: الأنثروبولوجيا البيئية وتغير المناخ

الجزائر تواجه تحولات بيئية واضحة: الجفاف، التصحر، وتراجع الموارد المائية في الجنوب والهضاب العليا. الأنثروبولوجيا البيئية تساعد على فهم كيف يتفاعل الإنسان مع هذه الظروف ثقافياً واقتصادياً.

أمثلة و اقعية:

- دراسات حول **هجرة السكان من المناطق الجافة في بسكرة والوادي** نحو المدن الساحلية بسبب ندرة المياه.
- مشاريع تقليدية لحفظ الماء مثل **الفقارة في توات وأدرار** كنموذج للتكيف الثقافي مع المناخ القاسي.
- تغير أنماط الزراعة في منطقة القبائل بعد تراجع الأمطار وتأثيره على الاقتصاد المحلي.

المحور الرابع: الأنثروبولوجيا الطبية

في الجزائر، يمكن ملاحظة التداخل بين الطب الحديث والطب الشعبي، خصوصاً في المناطق الريفية. الأنثروبولوجيا الطبية تفسر كيف ينظر الناس إلى المرض بوصفه ظاهرة اجتماعية وثقافية.

أمثلة و اقعية:

- لجوء بعض العائلات إلى "الرقية الشرعية" أو "الطب العشبي" رغم توفر الخدمات الطبية الحديثة.
- عادات علاجية محلية مثل استخدام "الحجامة" أو "الكيّ" في مناطق الجنوب.
- تأثير الجائحة (كوفيد-19) على السلوك الصحي والثقة في المؤسسات الطبية.

المحور الخامس: الأنثروبولوجيا السياسية والاقتصادية

الأنثروبولوجيا السياسية في الجزائر تركز على العلاقة بين الدولة والمجتمع، وعلى أثر الاقتصاد غير الرسمي. تشير الدراسات إلى أن الاقتصاد الموازي في الجزائر يشكل أكثر من 40% من النشاط الاقتصادي.

أمثلة و اقعية:

- تجارة "السكوار" في الجزائر العاصمة كمثال على التنظيم غير الرسمي داخل الاقتصاد الحضري.
- دراسة حول **التحويلات المالية للمهاجرين الجزائريين** ودورها في دعم الاقتصاد المحلي.
- حركة الشباب العاطل التي تستخدم الفضاء الرقمي للمطالبة بالحقوق والعمل.

المحور السادس: الجندر والهوية

التحولات الاجتماعية في الجزائر أفرزت نقاشات جديدة حول الجندر ودور المرأة. الأنثروبولوجيا هنا تدرس كيف تتغير مفاهيم الذكورة والأنوثة في ظل التعليم، العمل، والإعلام.

أمثلة و اقعية:

- بروز المرأة الجزائرية في الفضاء العام والمهني، مثل المشاركة القوية في الطب والتعليم والإعلام.
- النقاشات الإلكترونية حول اللباس، الزواج، والمساواة الجندرية على المنصات الرقمية.
- الحركات النسوية عبر الإنترنت مثل "النسوية الجزائرية" التي تدافع عن المساواة القانونية والاجتماعية.

المحور السابع: الأنثروبولوجيا الحضرية

المدن الجزائرية تعيش تحولات اجتماعية عميقة نتيجة التمدن والعولمة. الأنثروبولوجيا الحضرية تدرس كيف يعيش الناس في هذه البيئات المتغيرة، وكيف تتشكل العلاقات في الفضاء العام.

أمثلة و اقعية:

- توسع الأحياء الشعبية مثل باب الواد والحراش وتحولها إلى فضاءات ثقافية نابضة بالحياة.
- تغير أنماط الجيرة والتضامن في المدن الجديدة مثل سيدي عبد الله.
- المقاهي كفضاءات اجتماعية شبابية جديدة للنقاش وتبادل الأفكار.

المحور الثامن: الهوية الثقافية والعولمة

الهوية الجزائرية اليوم تتأثر بوسائل الإعلام، الهجرة، والتكنولوجيا. الأنثروبولوجيا تتيح فهماً أعمق لكيفية تفاعل الفرد مع هذه العوامل وصياغة انتمائه الثقافي.

أمثلة و اقعية:

- الشباب الجزائري المهاجر عبر الإنترنت الذي يكوّن "هوية مزدوجة" تجمع بين الثقافة المحلية والهوية الأوروبية.
- انتشار الموسيقى الحديثة مثل "الراي الإلكتروني" التي تمزج التراث المحلي بالتكنولوجيا.
- النقاشات حول اللغة بين العربية، الأمازيغية، والفرنسية كجزء من صراع الهوية الثقافية.